

التثنية في القراءات القرآنية دراسة دلالية

م.م حيدر محمد رحم
جامعة ذي قار - كلية الاداب - قسم اللغة العربية

المقدمة

قد غيرت دلالة الكلمة من الجمع إلى التثنية ، ومثل ذلك قوله تعالى : (هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ) (الحج: من الآية ١٩) قال : (خصمان) وبعد ذلك قال : (اختصموا) بصيغة الجمع مراعاة للمعنى ، إذ مع كل خصم أفراد ، وقال الزركشي : (ولم يقل اختصما اكتفاء بالخبر عن أحدهما بالدلالة عليه)^٢ وقرأ ابن أبي عيلة^٣ (اختصما) مراعاة للفظ ، وذكر النحاس في كتابه إعراب القرآن : (قال أبو جعفر : وهذا تأويل من لا دراية له في الحديث ولا بكتب التفسير ؛ لأن الحديث في هذه الآية مشهور رواه سفيان الثوري وغيره عن أبي هاشم عن أبي مجلز عن قيس بن عباد قال : سمعت ابانيرقسم قسما أن هذه الآية نزلت في حمزة وعلي وعبيدة بن الحارث بن عبد المطلب ، وعتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة ، وهكذا روى عمرو بن العلاء عن مجاهد عن ابن عباس ((فالخصمان هما : الخصم الأول المسلمون ، والخصم الثاني المشركون ، وعندما التقوا للمبارزة والقتال صاروا جماعة فقال عز من قال : (اختصموا) ، فقرأ ابن عيلة صحيحة وليس هناك شك في صحتها ، ويؤيد ذلك ما قاله الزمخشري : ((ولو قيل هؤلاء خصمان ، أو اختصما جاز ، يراد المؤمنون والكافرون))^٤ .

والتعبير بالاسماء المجموعة عن الاثنين صيغة موجودة في العربية كقول الرازي^٥

ومهمهين قذفين مرتين

ظهراهما مثل ظهور الترسين

ويعد هذا من سعة العربية^٦ .

٢. العدول من التثنية إلى الجمع :

وقد يأتي النص القرآني بلفظ التثنية والقراءة بلفظ الجمع كقوله تعالى : (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) (الحجرات: ١٠) قرأ يعقوب : (فأصلحوا بين أخوتكم) بالتاء على الجمع^٧ ((فالحجة لمن قرأه بالياء أنه رده على اللفظ لا على المعنى ، والحجة لمن قرأه بالتاء أنه

يعد علم القراءات من العلوم التي انبرى لها الكثير من الدارسين قدماء ومحدثين ، وخاصوا في غمراتها درس تلو الدرس فاختلوا في تلك القراءات فأولوا وقدروا ، فتعددت القراءات وكثر القراء .

إن اختلاف القراءات القرآنية أوجد مجالا واسعا للبحث في نوع هذا الاختلاف وفوائده وأسبابه ، فأصبحت القراءات علما مستقلا له رجاله ، وهذا الاختلاف هو اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد وتناقض .

ولما للتثنية من جمال وحسن في الرونق ، ولها من الرنة ما يستهوي الفؤاد ، وكثرة القراءات القرآنية فيها أثرت أن أجمع القراءات القرآنية في التثنية ، وأن أعرضها في ملخص وأبين أثرها اللغوي ، والسبب الذي من أجله جاءت القراءة على الصورة التي هي عليها .

إن للقراءة القرآنية أثرا واضحا في تغيير الدلالة أحيانا وقد يحدث هذا التغيير في بنية الكلمة أو في حركتها من فتح أو كسر أو تسكين أو تشديد أو تخفيف أو غير ذلك مما سيأتي الحديث عنه من خلال البحث .

١. العدول من القراءات القرآنية بين الجمع والتثنية والإفراد

١. العدول من الجمع إلى التثنية :

تتغير دلالة القراءات القرآنية من الجمع إلى التثنية كما في قوله تعالى : (وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَخْتَصِمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفِثَتْ فِيهِ غَمَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ) (الأنبياء: ٧٨) فجاء بالجمع في قوله (لحكمهم) ؛ لإضافة الحكم إلى الحاكم وإلى المحكوم لهم ، وقيل جيء بالجمع للتعظيم ، مثل قوله تعالى : (فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ) (النساء: من الآية ١١) ، وهو يريد أخوين^٨ . وقرأها ابن عباس على الأصل (وكنا لحكما) ، مستدلا في ذلك على قول من قال : إن أصل الجمع التثنية^٩ فنرى كيف أن قراءة ابن عباس

رده على المعنى لا على اللفظ^{١٠} وخص الاثنان بالذكر دون الجمع ((لأن أقل من يقع الشقاق بينهم اثنان ، فإذا لزمتم المعالجة بين الأقل كانت بين الأكثر ألزم ؛ لأن الفساد في شقاق الجمع أكثر منه في شقاق الاثنين)^{١١} ، والمراد بالأخوين الأوس والخزرج^{١٢} .

وأحيانا يقرأ القارئ بضمير الجمع والنص القرآني يكون بلفظ التثنية ، ويتجلى ذلك في قوله تعالى : (إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا وَعَلَى اللَّهِ قَلِيلَتُوكُلِ الْمُؤْمِنُونَ) (آل عمران: ١٢٢)

قرأ عبد الله : (والله وليهم) رجع بهما إلى الجمع ، معيدا الضمير إلى المعنى لا على اللفظ^{١٣} ، ومثل ذلك قوله تعالى : (إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما) (النساء: من الآية ١٣٥) قرأ أبي : (فإن الله أولى بهم) بضمير الجمع ، والقراءة بضمير الجمع شاهد على أن المراد جنس الغني والفقير^{١٤} ، أي الأغنياء والفقراء ، ويعترض أبو حيان على عطف الضمير

(بـ أو) بل يجب إفراده ، ويضع لذلك تقديرا مفاده : فليشهد عليه ولا يراعي الغني لغناه ولا لخوف منه ، ولا الفقير لمسكنته وفقره ، ويكون : (فإن الله أولى بهما) ليس هو الجواب بل لما جرى ذكر الغني والفقير عاد الضمير على ما دل ما قبله^{١٥} .

٣. إقامة المفرد مقام المثني :

ويظهر ذلك في قوله تعالى : (وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُبِّدْتُ إِلَى رَبِّي لَأُجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلِبًا) (الكهف: ٣٦)

قرأ أهل المدينة : (لأجدن خيرا منها منقلبا) على الإفراد ، والتثنية أولى ؛ لأن الضمير أقرب إلى الجنتين^{١٦} ، وقد تقوم التثنية مقام المفرد كما في قوله تعالى : (فالتقى الماء) (القم: من الآية ١٢) ، قرئ : (فالتقى الماءان) وجوزوا ذلك ؛ لأن الماء اسم جنس يقع على الواحد وعلى الجمع ، وذكر متضمنا للتثنية لأنه أريد به بيان النوعين ؛ لأن الماعين هما ماء السماء وماء الأرض ، وتقوي قراءة التثنية دلالة الفعل (التقى) ؛ لأن الالتقاء لا يكون إلا في اثنين^{١٧} ، ومما جاء في العربية قول الشاعر :

فلو إنا على حجر ذبحنا

جرى الدميان بالخير اليقين

ثنى الدم لبيان أنهما

عدوان لا تمتزج دماؤهما^{١٨} .

التعاقب بين الصيغ الصرفية

١. التعاقب بين التضعيف والألف

قد تأتي القراءة القرآنية بالتعاقب بين التضعيف والألف كما في قوله تعالى : (فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ) (البقرة: من الآية ٣٦) قرأ حمزة : فأزلهما بالألف ، والباقيون فأزلهما^{١٩} والمعنى بين القراءتين مختلف (فأزل في الخطأ ، وأزال من التثنية عن المكان ، ومادة (زل) تدل على الاسترسال بالشيء دون تعمد ، وقصد وفي مقام الآية جاءت بسبب الترغيب مكررا أو خديعة^{٢٠} ، ((فالحجة لمن أثبت الألف أن يجعله من الزلل ، وأصله (فأزلهما) فنقلت فتحة اللام إلى الزاي فسكنت اللام فأدغمت للمماثلة))^{٢١} ، وقد استحسّن الزجاج كلتا القراءتين^{٢٢} .

٢. التعاقب بين الحركات :

لم يقتصر التعاقب بين النص القرآني والقراءة القرآنية على الحروف وإنما جاء بين الحركات أيضا ، ويظهر ذلك في قوله تعالى : (وَالَّذِي قَالَ لُؤْلُقُ لَوَيْدٍ أُمَّ لَكَمَا إِبْرَاهِيمُ أَنْ أَكْرَجْ وَفَدَّ خَلَّتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَأَمَّا يُسْتَفِيثَانِ اللَّهُ وَيَلِكُ آمِنْ إِنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقَّ قَوْلِهِ مَا هَذَا إِلَّا أُسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ) (الاحقاف: ١٧)

بكسر النون الأولى ، وقد قرأ الحرمان بفتحها ، وحسنت هنا شيئا لكثرة الكسرات^{٢٣} ، ومما جاء أيضا قوله تعالى : (هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ نُجَابٌ مِنْ دَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الْخَمِيمُ) (الحج: ١٩) وعن الكسائي أنه قرأ (خصمان) بكسر الخاء^{٢٤} .

ومما حمل على هذا المعنى قوله تعالى : (وَطَلَقَا يَخْصِيصَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ رِيقِ الْجَنَّةِ) (الأعراف: من الآية ٢٢) قرأ الحسن (يخصفان) بكسر الخاء ، والأصل يخصفان ، فأدغم وكسر الخاء لالتقاء الساكنين ، وقرأ ابن بريده ويعقوب (يخصفان) بفتح الخاء ألقى حركة التاء عليها ، ويجوز (يخصفان) بضم الياء من (خصف يخصف) .

والمعنى أنهما أمرا بترك اللباس فبدت سواتهما^{٢٥} ، وأما في قوله تعالى : (يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ) (البقرة: من الآية ١٠٢) فقد قرأ الحسن وابن عباس والضحاك بن مزاحم وعبد الرحمن بن أبيزي (الملكين) بكسر اللام ، وقيل : أراد بالملكين (داود وسليمان) ، وأطلق عليهما هذا اللفظ مع أنهما عبادان لله تعالى ، وجاز ذلك لأن الناس اعتادوا إطلاق هذا اللفظ عليهما^{٢٦} .

ومما جاء على لغة الحجاز قوله تعالى : (وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ) (البقرة: من الآية ٣٥) ، قرئ : (ولا تقربا) بكسر التاء ،

٤. المبني للمجهول :

ويسمى المبني للمفعول وهذه الظاهرة قديمة في اللغة العربية ، وقيل إنها من بقايا اللغات القديمة التي توحدت فيما بعد في اللغة العربية الموحدة حيث استعاضت عنها بظاهرة الأفعال المطاوعة^{٣٥} ، يقول الدكتور رمضان عبد التواب : ((وقد بدأت هذه الظاهرة بالتطور في عصر نزول القرآن الكريم ، ولذلك نجد الفعل المطاوع واردا في النص القرآني في سياق الأفعال المبنيّة للمجهول في بعض الأحيان))^{٣٦} كما في قوله تعالى : (إِنْ أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ) (البقرة: من الآية ٢٢٩) ، قرأ أبو جعفر ويعقوب وحمة بضم الياء ، وقرأ الباقر بفتحها ، فمن فتح الياء جعل الفعل لهما وسمى الفاعل ، ومن ضم الياء جعله فعل ما لم يسم فاعله ، ومعنى (يخافا) في الآية (تيقنا) ؛ لأن الخوف يأتي بمعنى اليقين ويأتي بمعنى الشك أو الظن^{٣٧} ، ومما يؤيد تفسير الخوف بالظن ، قراءة أبي : (إِنْ أَنْ يَخَافَا) لقوله تعالى : (إِنْ أَنْ يَخَافَا) ، ومما جاء في الشعر قول الشاعر :

أتاني كلام عن نصيب بقوله

وما خفت يا سلام أنك عابني

ومعنى الخوف في البيت (الظن) لأنهما متقاربان^{٣٨} .

ولم تعجب قراءة حمزة (يخافا) الفراء ، وأثبت ذلك قائلا : ((ولا يعجبني ذلك))^{٣٩} ، أما أبو علي الفارسي فقد وصف قراءة حمزة بالمستقيمة ، وحجته في ذلك أنه لما بنى الفعل للمفعول به أسند الفعل إليه فلم يبق شيء يتعدى إليه^{٤٠} ، فالخوف واقع في هذه القراءة على الرجل والمرأة^{٤١} .

ومن ذلك أيضا قوله تعالى : (أَنْ يَصْلَحَا) (آل عمران - ١٢٨) ، بضم الياء وكسر اللام من غير الألف والتخفيف ، وقرأ الباقر بفتح الياء وفتح اللام ، وبالف بعد الصاد والتشديد^{٤٢} .

٥. الهمز

الهمزة صوت يخرج من أقصى الحلق ، ينطق شديدا ، والهمزة مجهورة عند القدماء ومهموسة عند المحدثين^{٤٣} ، ((ويعد الهمز من خصائص العربية الفصحى ، وبها نزل التنزيل العزيز ، وهي خصيصة من أهم خصائص لهجات بني تميم وقيس وأسد وعقيل))^{٤٤} ، والهمزة لا تدغم في مثلها عند النحويين ، أما عند الفراء فتدغم في مثلها^{٤٥} ، ، ومما قرئ في التثنية قوله تعالى : (فَرَجَلْ)

فالحجازيون يكسرون حرف المضارعة (التاء والهمزة والنون) وقد يكون للجانب الصوتي أثر كبير في توجيه القراءة القرآنية كما في قوله تعالى : (أَنْ يَصْلَحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا) (النساء: من الآية ١٢٨) ، قرأ الكوفيون بضم الياء وكسر اللام من غير الألف والتخفيف ، وقرأ الباقر بفتح الياء وفتح اللام ، وبالف بعد الصاد والتشديد^{٤٦} ، في (يَصْلَحَا : يتصالحا ، فأبدلت التاء صادًا وأدغمت في الصاد ؛ لأنها من حروف الصغير ، وإذا وجب إدغام أحد الحرفين في الآخر كان إدغام الأنقص صوتا في الأزيد صوتا أولى^{٤٧} .

٣. التعاقب بين السكتات والحركات :

ومن ذلك قوله تعالى : (إِنْ عَدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا) (التوبة: من الآية ٣٦) ، قرأ أبو جعفر بإسكان العين ، ولا يد من مد ألف (اثنا) لالتقاء الساكنين ، فسمع عن العرب (التقت حلفتا البطان) بإثبات ألف (حلفتا)^{٤٨} ، وهذا كله من اللهجات ، فالشهور عن الحجازيين أنهم يكسرون الثاني ، فهم يقولون : نبقة ، نبقة وفخذ ، والتميميون يسكنون الثاني فيقولون : نبقة ، فخذ ، والذي حدث أن القبيلتين قد فارقتا في هذا الموضع من العدد لغتهما وأخذت كل واحدة منهما لغة صاحبتها وتركنت اللغة السائدة عنها من باب التأثير والتأثر ، فقال الحجازيون (عشرة) بالسكون ، والتميميون (عشرة) بالكسر^{٤٩} .

وأما قوله تعالى : (اِثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ) (التوبة: من الآية ٤٠) ، قرئ (ثنائي) بسكون الياء ، وهذا أيضا من اللغات ، إذ جاءت على لغة من يجري الناقص مجرى المقصور في الإعراب ، ونفى الألوسي أن يكون هذا من الضرورة ، خلافا لمن زعم أنه من أحسن الضرورة في الشعر^{٥٠} ، ومما جاء أيضا قوله تعالى : (فَارْتَدَّا أَنْ يَبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَةً وَأَقْرَبَ رَحْمًا) (الكهف: ٨١) ، قرأ أهل المدينة وأبو عمرو (أن يبدلها) بفتح الياء وتشديد الدال^{٥١} . وقد تحذف الضمة ويعوض عنها بالسكون لنقلها كما في قوله تعالى : (كَانَ فِي أذُنَيْهِ) وقرأ (لقمان: من الآية ٧) ، قرأ نافع (أذنيه) يسكنون الدال تخفيفا^{٥٢} ، وورد كذلك في قوله تعالى : (بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ) (الكهف: من الآية ٩٦) ، قال ابن خالويه : ((إنها تقرأ بضم الصاد والدال وفتحهما ، وبفتح الصاد وإسكان الدال ، فالحجة لمن قرأه بالضم أنه أتى باللفظ على الأصل وأتبع الضم الضم ، والحجة لمن فتحها : خفة الفتح ، والواحد عنده (صدف) ، والحجة لمن أسكن الدال أنه جعله اسما للجبل ذاته غير مثني)^{٥٣} .

، ثم قلبت اللام نونا لقرب المخرج وأدغمت ، وكان القياس قلب الأولى لكنه حوِّظ على علامة التنثنية^{٥١} فالتخفيف في نون المثني في (اللذان وهذان وذان) ينسب لقريش والتشديد ينسب لتميم وقيس وأسد ، والتشديد أكثر تأكيداً من التخفيف لأن في التشديد زيادة في المعنى وتأكيداً لا تحمله الصيغ المخففة^{٥٢} كما في قوله تعالى : (واللذان يأتيناهن منكم) (النساء: من الآية ١٦) ، قرأ ابن كثير (واللذان) بتشديد النون^{٥٣} ، والذي (ساد في العربية الفصحى هو ما جاء على لهجة أهل الحجاز وبني أسد ، أما الصيغة المشددة (اللذان) فبقي استعمالها محصوراً في لهجة تميم وقيس)^{٥٤}

(ما قرئ على إحدى لغات العرب)

ومن ذلك قوله تعالى : (إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ) (الاسراء: من الآية ٢٣) ، قرأ حمزة والكسائي وخلف (يبلغان) على التنثنية^{٥٥} ، فألف التنثنية في قراءة حمزة علامة تدل على التنثنية لا الضمير ، وهذه إحدى لغات العرب وتسمى لغة أكلوني البراغيث^{٥٦} ، وقراءة (يبلغن) (أبين في العربية لأن أحدهما واحد وتجاوز الثانية كما تقول جاءني أحدهما أو كلاهما على البذل)^{٥٧} ومما قرئ على هذه اللغة أيضاً قوله تعالى : (قَالُوا إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ) (طه: من الآية ٦٣) ، فقد أجمع القراء على تخفيف النون في التنثنية إلا ابن كثير فإنه شددتها .

وهذه القراءة جاءت على لغة طائفة من أحياء العرب لأن القرآن نزل بلغة كل حي من أحياء العرب^{٥٨} ، ووقف النحويون وقفة طويلة إزاء هذه الآية الكريمة لا مجال للتفصيل فيها لوجودها في كتب النحو وكتب التفسير وسأكتفي بمناقشة الموضوع من جانب لهجي إذ يقول المستشرق (جيم رابين) (هناك احتمال بأن المثني كان على صيغة واحدة هي لزوم الألف والنون في لهجة مكة ، بصرف النظر عن حالته الإعرابية ، وهكذا كان في لهجة شمال اليمن)^{٥٩}

وأجمع النحويون المعنيون بكتاب الله على أن (هذان) اسم (ان) جاء بالرفع على لغة (بلحارث بن كعب) يجعلون المثني في حالة الرفع والنصب والخفض بالآلف مطلقاً^{٦٠} ومن ذلك قول الشاعر^{٦١} :

فاطرق إطراق الشجاع ولو يرى
مساغاً لنباه الشجاع لصمما

وامرأتان (البقرة: من الآية ٢٨٢) ، بسكون الهمزة وهي قراءة أهل مكة^{٦٢} ، ووجه ذلك ((أنهم كانوا يخففون الهمزة هنا ويضعفون حركتها على المعتاد من أمرها فتقرب من الساكن والدليل على أنها قريبة من الساكن امتناع العرب من أن يبتدأ بالساكن ، فلما صارت إلى قولك : (وامرأتان) بالغوا في ذلك فأبدلوها ألفاً ، فصارت (وامرأتان) بألف ساكنة))^{٦٣} ، ويحمل على هذا قراءة ابن كثير لقوله تعالى : (وكشفت عن ساقبها) (الزلزال: من الآية ٤٤) ، قرأها (ساقبها) بالهمز ، ومما جاء نظير ذلك قول الشاعر :-

يقولون جهلاً ليس للشيخ عيل
لعبري لقد أعيلت وأن رقوب
(بريد : وأنا رقوب)^{٦٤} .

وقرئ بتسهيل الهمزة وإبدالها واوا وإدغام الواو فيها كما في قوله تعالى : (فَوَسَّوْا لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوَاتِبِهِمَا) (الأعراف: من الآية ٢٠) ، قرأ مجاهد والحسن (سوتهما) بالإفراء وتسهيل الهمزة^{٦٥} ، ويعلق الدكتور إبراهيم السامرائي على مثل هذا النوع من القراءات بقوله : (وهذا النموذج من القراءات التي لا يرضاها النحاة لابتعادها عن سنن القواعد النحوية)^{٦٦} ومثل لذلك بقوله تعالى : (واللذان يأتيناهن منكم) (النساء: من الآية ١٦) ، قرأ بعضهم (واللذان) بالهمز^{٦٧} ، ومثل هذه القراءة وردت في قوله تعالى : (قَالُوا إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ) (طه: من الآية ٦٣) ، فقد قرئت (هذان) بالهمز^{٦٨} .

٦. التخفيف والتضعيف :

اللسان العربي لا يميل إلى التضعيف لنقله ، فذلك تجدهم يتخففون منه تارة بحذف أحد المضعفين وتارة أخرى بتحويله إلى حرف علة . ويعلق سيبويه على مثل هذه الظاهرة بقوله ان التضعيف ثقیل على ألسنتهم وأن اختلاف الحروف أخف عليهم من أن يكون من موضع واحد^{٦٩} ، ومما جاء في التنثنية قوله تعالى : (إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ) (التحریم: ٤) ، قرأ الجمهور (تظاهرا) بتشديد الظاء ، وأصل الكلمة تتظاهرا بتاءين فأدغمت التاء في الظاء^{٧٠} .

وقرئ على هذا المعنى قوله تعالى : (فَذَٰلِكَ بُرْهَانُ) (القصص: من الآية ٣٢) ، قرأ ابن كثير (فذالك) بتشديد النون وهي لغة^{٧١} ، وقال المبرد إنه بدل من لام ذلك كأنهم أدخلوها بعد نون التنثنية

أما قراءة أبي عمرو (إن هذين) فجاءت على اللغة المكشوفة ، أي على سنن العربية ، ولم يشته الفراء^{٦٧} هذه القراءة لمخالفتها خط المصحف ، ويقول الدكتور محمد عبد الله جبر : (إن أسلوب أكلوني البراغيث أسلوب غير خاطئ وإنه أسلوب أصيل في الساميات ، ولكن التطور أدى إلى التخلي عنه)^{٦٨}.

(المخالفة في الصيغة الإعرابية)

تأتي القراءة القرآنية أحياناً بصيغة إعرابية تخالف عما هي عليه في النص القرآني ، ويظهر ذلك واضحاً في قوله تعالى : (مِنْ الضَّانِّ اثْنَيْنِ) (الأنعام: ١٤٣) ، قرئ (اثنان) على الابتداء ، وهي قراءة إبان بن عثمان^{٦٩} ، ومما جاء في سورة الحشر قوله تعالى : (فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ) (الحشر: ١٧) ، قرأ عبد الله (فكان عاقبتهم أنهما خالداً في النار) ولا يشتهي الفراء قراءة الرفع وإن كانت تجوز في نظره ، وذلك لأن الصفة قد عادت على النار مرتين والمعنى للخلود^{٧٠}.

ومثله قوله تعالى : (فَأَخْرَجَ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأُولِيَّانِ) (المائدة: ١٠٧) ، قرئ (الأوليين) على التنثية ، وانتصابه على المدح^{٧١}.

(المخالفة في بنية الكلمة)

تحصل هذه المخالفة بزيادة حرف على بنية الكلمة أو حذف حرف منها أو قد يكون التغيير في شكل الكلمة ، وتأتي القراءة القرآنية بكلمة مرادفة لها في المعنى دون المساس بالمعنى الذي يقتضيه النص القرآني ، ومن ذلك قوله تعالى : (وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) (المائدة: ٣٨) ، قرأ عبد الله : (والسارقون والسارقات فاقطعوا أيديهما)^{٧٢} ، إنما قال : (أيديهما بالجمع لأنه يريد أيديهما وهي قراءة شاذة فإن ما كان في البدن منه عضوان فإن تنثيته على لفظ الجمع ، فلما كان معنى أيديهما أيديهم والإنسان ليس له إلا يمين واحدة فنزل بمنزلة ما ليس بالبدن منه إلا عضو واحد فأتى في تنثيته بلفظ الجمع)^{٧٣} ، وقيل أريد باليدين اليمينان ، والدليل على ذلك قراءة عبد الله^{٧٤} ، ومما جاء في سورة الشعراء قوله تعالى : (فَلَمَّا تَرَأَى الْجَمْعَ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمَذْكُونُونَ) (الشعراء: ٦١) ، قرئ (فلما تراعت الفتتان)^{٧٥} ، أما في قوله

تعالى : (قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا) (القصص: من الآية ٤٧) ، قرأ الكوفيون (سحران) بكسر السين وإسكان الحاء من غير ألف^{٧٦} ، فمن قرأ ساحران على أنه تنثية (ساحر) ومن قرأ (سحران) على أنه تنثية (سحر)^{٧٧}.

واختلفوا في قوله تعالى : (يَا حَسْرَةَ عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ) (يس: ٣٠)

قرأ أبو جعفر (يا حسرتاي) بياء بعد الألف^{٧٨} وأشكل ابن جني على هذه القراءة لأن الألف في (حسرتا) إنما هي - على حد قوله - بدل من ياء حسرتي أبدلت الياء ألفاً هرباً إلى خفة الألف من ثقل الياء ، كما يقال : يا غلاماً ، ويا صاحباً^{٧٩} ، وكذلك في قوله تعالى : ، قرأ عبد الله : (بل يذاه بسطان) فيقال : يد مبسطة أي منطقة مبسطة^{٨٠} ، أما في قوله تعالى : (رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَلَدِي وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ) (إبراهيم: ٤١)

، فقد قرأ الحسن بن علي (ع) وأبو جعفر محمد ، وزيد بن علي (ع) ، وابن يعمر والزهري والنخعي (ولولدي) بدون ألف ويفتح اللام على التنثية ، والمقصود بهما اسماعيل وإسحاق^{٨١}.

هذه هي أهم القراءات التي قرئت في التنثية وموقف النحويين والمفسرين منها .

مصادر البحث

١. أبو علي التحيوي وجهوده في الدراسات اللغوية والصوتية ، الدكتور علي جابر المنصوري ، مطبعة الجامعة ، ط ١ ، بغداد ، ١٩٨٧م
٢. أبو زيد الأنصاري وكتابه الهمز ، الدكتور خليل إبراهيم العطية ، مطبعة التعليم العالي ، البصرة ١٩٩٠م
٣. إعراب القرآن ، أبو جعفر أحمد بن محمد اسماعيل النحاس ت ٣٣٨ هـ ، تحقيق زهير غاري زاهد ، مكتبة النهضة العربية ، ط ٢ ، ١٩٨٥م
٤. بحوث ومقالات في اللغة ، الدكتور رمضان عبد التواب ، مطبعة المدني ، ط ١ ، مصر ١٩٨٢م
٥. البرهان في علوم القرآن ، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركاه ، ط ١ ، ١٩٥٧م
٦. البيان في غريب إعراب القرآن ، أبو البركات الأنباري ، تحقيق : طه عبد الحميد طه ، مراجعة الدكتور مصطفى السقا ، الهيئة المصرية للتأليف والنشر ، دار الكتاب العربي ١٩٦٩م
٧. التبصرة في القراءات : أبو محمد مكى بن أبي طالب القيسي ت ٤٣٧ هـ ، تحقيق : الدكتور محيي الدين رمضان ، منشورات معهد المخطوطات العربية ، الكويت ، ط ١ ، ١٩٨٥م

٢٥. معاني القرآن : أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء (٢٠٧هـ) ج ١، تحقيق أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩٥٥م ، ج ٢ ، تحقيق الدكتور عبد الفتاح اسماعيل وعلي نجدي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٢م
٢٦. معاني القرآن وإعرابه ، أبو إسحاق إبراهيم بن السري المعروف بالزجاج ت ٣١١هـ شرح وتعليق الدكتور عبد الجليل شلبي ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ، القاهرة ، ١٩٧٤م
٢٧. المقتضب ك أبو العباس محمد بن يزيد المبرد ت ٢٨٥هـ ، تحقيق : محمد عبد الخالق عضية ، دار التحرير للطبع والنشر ، د . ت
٢٨. من وحي القرآن ، الدكتور إبراهيم السامرائي ، مؤسسة المطبوعات العربية ، بيروت - لبنان ، ١٤٠١م
٢٩. مواهب الرحمن في تفسير القرآن : السيد عبد الأعلى السيزواري ، مطبعة الديواني ، بغداد ط ٣ ، ١٩٨٩م
٣٠. النشر في القراءات العشر ، أبو الخير بن محمد الدمشقي (ابن الجزري ت ٨٣٣هـ) ، صححه وراجعاه علي محمد الصباغ ، مطبعة مصطفى محمد ، مصر ، د . ت

الهوامش:

- ١- ينظر : مجمع البيان ٧/٧
- ٢- ينظر : روح المعاني : ٧٤/١٧
- ٣- البرهان في علوم القرآن : ٢٤١/٢
- ٤- ينظر : البحر المحيط : ٣٦٠/٦
- ٥- إعراب القرآن : ٩١/٣ - ٩٢
- ٦- الكشاف : ١٥/٣
- ٧- نسب هذا البيت في الكتاب إلى عظيم المجاشعي : ٤٨/٢
- ٨- معاني القرآن للفراء : ٣٩٠/٢
- ٩- ينظر : النشر في القراءات العشر : ٣٧٦/٢
- ١٠- الحجة لابن خالويه : ٣٣٠
- ١١- الكشاف : ٤٦٦/٤ ، وينظر : تفسير البيضاوي : ٤١٧/٢
- ١٢- ينظر : تفسير أبي السعود : ٩٠/٥
- ١٣- ينظر : معاني القرآن للفراء : ٢٣٣/١
- ١٤- ينظر : تفسير البيضاوي : ٢٤٢/١
- ١٥- ينظر : البحر المحيط : ٣٧٠/٣
- ١٦- إعراب القرآن للنحاس : ٤٥٦/٢
- ١٧- ينظر : المحتسب : ٣١٦/١
- ١٨- ينظر : المقتضب : ٣٩/٤
- ١٩- الحجة في علل القراءات السبع : ١٠/٢
- ٢٠- ينظر : مواهب الرحمن : ١٨٠/١
- ٢١- الحجة في القراءات السبع : ٧٤
- ٢٢- ينظر : معاني القرآن وإعرابه : ٨٣/١
- ٢٣- ينظر : التبصرة : ٣٩٢
- ٢٤- روح المعاني : ١٣٣/١٧
- ٢٥- ينظر : المحتسب : ٢٤٥/١ ، وإعراب القرآن للنحاس : ١١٩/٢
- ٢٦- المحتسب : ١٠٠/١
- ٢٧- التبصرة : ١٨٤ - ١٨٥
- ٢٨- ينظر : البيان في غريب إعراب القرآن : ٢٦٨/١
- ٢٩- ينظر : النشر في القراءات العشر : ٢٧٩/٢

٨. تفسير (أبو السعود) المسمى (إرشاد العقل السليم في مزايا القرآن الكريم) لأبي السعود ت ٩٥١هـ المطبعة المصرية بالأزهر ، القاهرة ، ط ١ ، ١٩٢٨م
٩. تفسير البحر المحيط ، أبو حيان الأدلسي محمد بن يوسف ت ٧٤٥هـ ، الناشر : مكتبة النصر الحديثة ، الرياض ، السعودية ، د . ت
١٠. تفسير البيضاوي المسمى (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) ، عبد الله بن عمر البيضاوي ت ٧٩١هـ ، المطبعة الميمنية ، مصر ، ١٣٢٠ -
١١. الحجة في علل القراءات السبع ، أبو علي الحسن بن أحمد الفارسي ت ٣٧٧هـ تحقيق علي النجدي ناصف ، والدكتور عبد الفتاح شلبي ، والدكتور عبد الحليم النجار ، ج ٢ ، تحقيق علي النجدي ، والدكتور عبد الفتاح شلبي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، بولاق ، مصر ، ١٩٨٣م
١٢. الحجة في القراءات السبع ، أبو عبد الله الحسين بن أحمد المعروف بابن خالويه ت ٣٧٠هـ ، تحقيق : الدكتور عبد العالي سالم مكرم ، دار الشروق ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٧٧م
١٣. الدراسات اللغوية والنحوية في قراءات عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي ت ١١٧هـ ، الدكتور علي جابر المنصوري ، مطبعة جامعة بغداد ، ١٩٩٠م
١٤. روح المعاني : الألوسي البغدادي (ت ١٠٢٧) ، ادارت الطباعة المنيرية ، دار إحياء التراث العربي بيروت - لبنان . (د . ت)
١٥. شرح التسهيل ، جمال الدين محمد بن مالك ت ٦٧٢هـ تحقيق : عبد الرحمن السيد ، مطابع سجل العرب ، القاهرة ، ط ١ ، ١٩٧٤م
١٦. شرح المفصل ، موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش النحوي ت ٦٤٣هـ ، تحقيق : محمد منير ، المطبعة المنيرية ، القاهرة ، ١٩٣١م
١٧. الضمائر في اللغة العربية الدكتور محمد عبد الله جبر ، مطابع جريدة السفير ، الاسكندرية ، ط ١ ، ١٩٨٣م
١٨. الظواهر اللغوية في قراءة أهل الحجاز ، الدكتور صاحب أبو جناح ، مطبعة جامعة البصرة ، ١٩٨٨م
١٩. كتاب سيبويه : أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ت ١٨٠هـ تحقيق عبد السلام هارون ، دار الجيل للطباعة والنشر ، مصر ، ودار الفاعلي الرياض ، د . ت
٢٠. الكشاف عن حقائق التنزيل وعلوم الأقاويل في وجه التأويل ، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري ت ٥٣٨هـ ، دار الكتاب العربي ، بيروت لبنان ، د . ت
٢١. اللهجات العربية القديمة ، جيم رابين ، ترجمة عبد الرحمن أيوب ، ذات السلاسل للطباعة والنشر ، الكويت ١٩٨٦م
٢٢. لهجة قبيلة أسد : علي ناصر غالب دار الشؤون الثقافية ، ط ١ ، ١٩٨٩م
٢٣. مجمع البيان في تفسير القرآن ، أبو علي الفضل بن حسن الطبرسي ت ٥٤٣هـ ، تحقيق الحاج السيد هاشم الرسولي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، د . ت
٢٤. المحتسب في تبیین وجوه شواذ القراءات : أبو الفتح عثمان بن جني ت ٣٩٢هـ تحقيق علي نجدي ناصف والدكتور عبد الحليم النجار والدكتور عبد الفتاح شلبي ، دار التحرير للطبع والنشر ، القاهرة ، ١٣٨٦م

- ٣٠- ينظر : المحتسب : ٢١٦/١
 ٣١- ينظر : روح المعاني : ٩٦/١٠
 ٣٢- ينظر : مجمع البيان : ٤٨٤/٦
 ٣٣- روح المعاني : ٨٠/٢١
 ٣٤- الحجة لابن خالويه : ٢٣٢ ، وينظر : التبصرة : ٢٥١
 ٣٥- ينظر : الدراسات اللغوية والنحوية في قراءات عبد الله بن أبي اسحاق الحضرمي : ١٢٢
 ٣٦- بحوث ومقالات في اللغة : ٧٩ - ٨٠
 ٣٧- ينظر : الحجة في القراءات السبع : ٩٧ ، والنشر في القراءات العشر : ٢٢٧/٢
 ٣٨- معاني القرآن للفراء : ١٤٥/١
 ٣٩- المصدر نفسه : ١٤٥/١
 ٤٠- الحجة في علل القراءات السبع : ٢٤٨/٢
 ٤١- التبيان : ٢٤٦/٢
 ٤٢- ينظر : التبصرة : ١٨٤ - ١٨٥
 ٤٣- ينظر : لغويون بصريون ، أبو زيد الأنصاري وكتابه الهمز : ٣٦ - ٣٧
 ٤٤- المصدر السابق : ٣٣ ، وينظر : شرح المفصل : ١١٦ ، ١٠٧/٩
 ٤٥- ينظر : أبو علي النحوي وجهوده في الدراسات اللغوية والصوتية : ٢٠٥
 ٤٦- ينظر : المحتسب : ١٤٧/١
 ٤٧- المصدر نفسه : ١٤٧/١
 ٤٨- ينظر : البحر المحيط : ٣٤٦/٢
 ٤٩- ينظر : المصدر نفسه : ٢٧٩/٤
 ٥٠- من وحي القرآن : ٤٤٣
 ٥١- المصدر نفسه : ٤٤
 ٥٢- ينظر : المصدر نفسه : ٤٤
 ٥٣- الكتاب : ٤٣٨/٤
 ٥٤- ينظر : روح المعاني : ١٥٣/٢٨
 ٥٥- ينظر : روح المعاني : ٧٦/٢٠
 ٥٦- المقتضب : ٢٧٥/٣
 ٥٧- الظواهر اللغوية في قراءة أهل الحجاز : ٤٦
 ٥٨- ينظر : روح المعاني : ٢٣٥/٤
 ٥٩- لهجة قبيلة أسد : ١٨٨
 ٦٠- ينظر : النشر في القراءات العشر : ٣٠٦/٢
 ٦١- ينظر : روح المعاني : ٥٤/١٥
 ٦٢- إعراب القرآن للنحاس : ٤٢٠ - ٤٢١
 ٦٣- الحجة لابن خالويه : ٢٤٢
 ٦٤- اللهجات العربية الغربية القديمة : ٢٨٣
 ٦٥- ينظر : معاني القرآن للفراء : ١٨٣/٢ ، وشرح المفصل : ١٣٠/٣
 ٦٦- ينظر : معاني القرآن للفراء : ١٨٤/٢
 ٦٧- ينظر : المصدر نفسه : ١٨٣/٢
 ٦٨- الضمان في اللغة العربية : ٢١٤
 ٦٩- الضمان في اللغة العربية : ٢١٤
 ٧٠- ينظر : معاني القرآن للفراء : ١٤٦/٣
 ٧١- ينظر : تفسير البيضاوي : ٢٨٧/١ ، وتفسير أبي السعود : ٦٨/٢
 ٧٢- ينظر : معاني القرآن للفراء : ٣٠٦/١
 ٧٣- البيان في غريب إعراب القرآن : ٢٩٠/١ ، وينظر : شرح التسهيل : ٣٨/١
 ٧٤- ينظر : الكشاف : ٦٣١/١
 ٧٥- المصدر نفسه : ٣١٦/٣